التي تحيط بها، خلفية للرحلة المدرسية، أو مثلثات ثلاثة تناسب الجانب الأيسر من الصفحة البيضاء في كراسة الرسم، مجرد أشكال يخطها قلم الطفل في دقيقتين، خفيفة، كأنها لا شيء.

* * *

في هذه الرواية أنا الناظر. ليس هذا الاسم هو ما اختاره لي والديّ، ولا هو كُنيتي التي يناديني الناس بها، أنا الناظر لأن مهمتي النظر، أنقل عبر حكايتي ما نظرت إليه من نظر العين والقلب، أي ما رأيته بالبصر والبصيرة. حين رجعت إلى المعاجم لأتأمل مادة «نَظَرَ» وأطمئن أن الاسم يفي تمام الوفاء بالغرض، استوقفتني عبارة «ناظرُ العين»، وهي النقطة السوداء الصافية التي في وسط سواد العين، وبها يرى الناظر ما يُرى، وهي البصر نفسه، وهي أيضا عرق في الأنف (أو عرقان على جانبي الأنف) فيه (أو فيهما) ماء البصر، أترجمهما بلغتنا المعاصرة إلى قناة الدمع. قلت هذا اسم يناسبني، ثم عدلت عن استخدامه لغرابته، وأيضا لمنافاته الدقة، فما أرويه ليس البصر نفسه بل ما رأيته فأعجبني أو ساءني، أتفكّر فيه وأقدِّره قياسا على موقعه مني وموقعي منه. ثم أعجبتني «نظيرةُ القوم» وهو طليعتهم، ينظر إليه قومه، يمتثلون ما امتثل، وهو طريقتهم، ولكني وجدت هذا الاسم الثاني تماما كسابقه غير مألوف ويفتقد الدقة، فأنا على عكس نظيرة القوم، رجل وحيد معتكف في داره، لست طريقة أهلي، ربما كان لي أهل أتعرف عليهم ذات يوم، ولكن هذا أمر مستبعد لأن العمر لن يمتد طويلا.

أنا الناظر، منظرتي تلّة عمري، أقف عليها رقيبا وحارسا، أنتظر وأعتبر وأقدِّم دلائل المحبة، لأن النظر في لسان العرب دليل محبة، وترك النظر دليل انصراف أو بغض وكراهية.

ربما كان هذا التوضيح زائدا عن الحاجة، يستبق الرواية بإعلان ما قد تشير إليه وتضمنُّه، ولكني أردت رفع اللبس، لأن كلمة «الناظر» في العربية الدارجة